رؤى

برنامج تبادل المعلمين 2011

(تقرير تأملي)

نادر وهبة

أطلق مركز القطّان للبحث والتطوير التربوي/مؤسسة عبد المحسن القطان، مؤخراً، مبادرة تعليمية هي الأولى من نوعها في فلسطين، تتمثل في مشروع تبادل للخبرات التعليمية بين المعلمين الفلسطينيين وآخرين من بريطانيا يعملون في مجال الطفولة المبكرة والمراحل الأساسية الأولى؛ بهدف تطوير قدرات المعلمين مهنياً، والمشاركة معاً في بناء سياقات تعليمية نوعية تنبني على توظيف الدراما في سياق تعليمي، من خلال «عباءة الخبير» كإستراتيجية تعلم وتعليم.

ويتكون المشروع من ثلاث مراحل، تبدأ الأولى باختيار مواضيع المناهج المشتركة بين تلك الموجودة في بريطانيا وفلسطين، والتخطيط المشترك للحصص بين المعلمين المشاركين في هذا المشروع من فلسطين وبريطانيا، عبر الفضاء الإلكتروني، تليها مرحلة استضافة المعلمين البريطانيين إلى مدارس المعلمين الفلسطينيين؛ بهدف مراجعة خطط الدروس وتنفيذها مع الأطفال داخل تلك المدارس، ومن ثم التأمل المشترك للممارسات بهدف التطوير، وأخيراً مرحلة زيارة المعلمين الفلسطينيين إلى المدارس البريطانية لتنفيذ حصص مخطط لها مسبقاً، والتعرف على الثقافة والنظام التعليمي البريطاني، وبخاصة في مراحل الطفولة المبكرة. ويتخلل المشروع لقاءات مشتركة وأيام دراسية وورش عمل في فلسطين وبريطانيا؛ بهدف عرض الإنجازات والخبرات المكتسبة وتقييمها وتطويرها، بالإضافة إلى دعم التطبيق بالجانب النظري والمبررات الفلسفية للتوجهات التعليمية المتبعة داخل المدارس.

وترأس الوفد البريطاني الأستاذ لوك أبووت المتخصص في مجال التعليم التكاملي وفق منظومة عباءة الخبير، الذي تولى عملية التنسيق لتبادل الزيارات مع الباحثين في مركز القطان والمدارس البريطانية.

المرحلة الأولى:
مرحلة اختيار المدارس المشاركة والتشبيك والتخطيط المشترك

بعد كتابة الورقة المفاهيمية التي تحدد برنامج التبادل بشكله الأولي، قام المركز بتحديد معايير اختيار المدارس الفلسطينية ودعوتها للمشاركة في المشروع، حيث تم حصر أسماء المدارس المدعوة في تلك التي عملت معنا ضمن مشروع الطفولة والعلوم وبرنامج الدراما التكونية ومشروع التمكن المهني. وبناء عليه، تم اختيار ثماني مدارس فلسطينية خاصة وحكومية تنخرط في البرنامج عبر نخبة من معلميها. وتلك المدارس هي: دار الطفل في القدس، العناية الأهلية في القدس، جلجليا الأساسية المختلطة قضاء مدينة رام الله، بيرنبالا الأساسية للبنات، المستقبل، راهبات مار يوسف في رام الله، دار الطفل العربي في عرعرة. وتم اختيار خمس مدارس بريطانية تنفذ منذ سنوات نظاماً تعليمياً يقوده التوجه التكاملي وفق منظومة عباءة الخبير، وتلك المدارس هي: Woodrow, Beelings, St, Aidan, Kingston, Suringham. وتمت مواءمة المدارس الفلسطينية والبريطانية وفق الاهتمامات ومجال تخصص المعلمين المشاركين من كلا الطرفين. ويوضح الجدول التالي أسماء المدارس الفلسطينية والبريطانية والمعلمين المشاركين منها.

قائمة بأسماء المعلمين والمدارس المشاركة

المعلمون الفلسطينيون ومدارسهم	المعلمون البريطانيون ومدارسهم
(1) معتصم الأطرش – مدرسة جلجليا الأساسية المختلطة (وزارة التربية)	(1) Tim Tayler, Teacher, Surlingham School
(2) إيمان نصار زخارنة – مدرسة بنات بيرنبالا الأساسية (وزارة التربية)	(2) Ann Flood, Teacher, St Aidan's School
(3) بثينة ملحم، سمر عيسى، أريج بيادسة – دار الطفل العربي – المثلث الشمالي – عرعرة	(3) Julia Walshaw, Teacher, Bealings School
(4) أميرة ياسين قراعين– مدرسة الأميرة بسمة – القدس	(4) Gemma Handley, Teacher, Kingston School
(5) أروى فراح – العناية الأهلية – القدس	(5) Emma Hamilton Smith, Teacher, Surlingham School
(6) مها وهدان – روضة مدارس المستقبل – رام الله	(6) Richard Karen: Principal, Woodrow School
(7) فيفيان طنوس – مدرسة راهبات ماريوسف – رام الله	
(8) أسماء بركات – دار الطفل العربي – القدس	

تم التشبيك بين المعلمين البريطانيين والفلسطينيين عبر مراسلات عدة بين المدارس، وذلك لبناء فكرة العمل مع الطلبة، وبناء السياق والمهام. واستمرت هذه المرحلة خمسة أشهر، وفي النهاية تم بناء خطة محدودة مرنة واضحة المعالم، وتم تبادلها بين المعلم البريطاني وزميله الفلسطيني، مع تقييم وإثراء من قبل باحثي المركز.

إن طبيعة التخطيط وفق عباءة الخبير تتطلب من المعلم تحديد الأهداف التعلّمية الواردة في المنهاج، كما هو الحال في الخطط الصفية التقليدية، لكن ما هو جديد هنا هو كون الخطة مرنة، بحيث يتوفر حيز كبير لأفكار الطلبة واقتراحاتهم ومبادراتهم والأخذ بها في بناء الخطط التفصيلية اليومية، وهذا يتطلب مهارة عالية. كما تتطلب الخطة وجود سياق تعلمي يجذب الطلبة ويحفزهم على الاستمرار ضمن فريق مسؤول. فعلى سبيل المثال، قررت كل من أروى فراج من العناية الأهلية وآن فلود من مدرسة سنت أيدين (مرحلة طفولة مبكرة) تناول موضوع حياة النمل، لما يوفره هذا الموضوع من تكامل في العلوم؛ أي معلومات عن جسم النملة، الحياة داخل بيتها، علاقتها مع البيئة ومع الإنسان، بالإضافة إلى مقاربات قيمية مثل التعاون، والدقة، والتواصل، . . . الخ. لكن المطلوب هنا بناء سياق تعليمي يحقق أهدافاً وغايات أخرى، ويتم التعليم عن حياة النمل من خلالها، فتحول تفكير كل من أروى وآن نحو

سياق يتعلق بحق الطفل في اللعب، ويتطلب من الطلبة تحمل مسؤولية بناء حديقة أطفال آمنة للجميع (من مصادر متنوعة متوفرة في المدرسة) وبتكليف من طفلة (زبون) بعد أن شهدت حادث دهس طفل في مدينتها (سياق متخيل)، وبالتالي فتح المجال أمام ممكنات تعلمية غنية، وفي منطقة جديدة تتمثل في حق الطفل بمن فيهم ذوو التحديات بحديقة آمنة كما يتخيلها الأطفال ومن منظورهم الشخصي. أما موضوع النمل، فيأتي من داخل السياق، بأن يتم في مرحلة ما من الدرس وضع صور للنمل وبيوت صغيرة تمثل بيت النمل على الملعب الآمن الذي بناه الأطفال، الأمر الذي يفتح المجال أمام الطلبة للتعرف على النمل والتحاور معه (في مواقف درامية) من أجل الوصول إلى حل يرضي مملكة النمل والأطفال معاً.

وهكذا تطورت الخطط التدريسية بين المشاركين في البرنامج وتنوعت لتغطي مواضيع عن الحيوانات والحشرات والبيئة والتلوث، بالإضافة إلى مواضيع لها علاقة بالتراث والتاريخ الفلسطينيين (انظر جدول رقم 1).

المرحلة الثانية: مرحلة التطبيق في المدارس الفلسطينية

استقبل المعلمون الفلسطينيون زملاءهم البريطانيين في مدارسهم خلال شهر نيسان 2011 ولمدة أسبوع كامل، عملوا خلاله على تنفيذ الخطط التعليمية مع الأطفال (جدول رقم 1). وسمح البرنامج للمعلمين بعقد لقاءات تأملية يومية بعد كل حصة بهدف تقييم التجربة، وبناء الخطة لليوم التالي. وكانت تجربة الأسبوع ثرية وفق ما عبر عنه المعلمون في تأملاتهم ويومياتهم. وقد أجمع المعلمون المشاركون على تعلمهم أسلوباً جديداً ومغايراً في التعامل مع الأطفال، وفي إدارة المواقف التعليمية، وبناء السياقات، والأهم من ذلك، البناء على أفكار الطلبة واهتماماتهم. فعلى سبيل المثال، تحدثت بثينة عن تلك القدرة التي تعلمتها من زميلتها البريطانية في تحويل أفكار الطلبة إلى مواقف تعليمية لم يكن مخططاً لها، حيث ذكرت في تأملاتها ذلك الطفل الذي رسم رجلاً على ورقة بجانب حديقة النحل، وعندما سألته المعلمة البريطانية (وكانت في حينها معلمة في دور ملكة النحل): «من هذا الرجل؟»، أجاب «إنه «رجل شرير»، عندها أظهرت تخوفها منه أمام الأطفال الذين كانوا في تلك اللحظة يبنون بيتاً لها، ودعتهم حولها وقالت، «أنا لا أريد العيش بجانب رجل شرير يقتل النحل، ماذا يمكن أن نعمل مع هذا الرجل»، وعندها اقترح الأطفال الحديث مع ذلك الرجل للحفاظ على النحل، وبني مشهد درامي بين الأطفال والرجل (معلمة في دور) وقاموا بعقد اتفاقية يتعهدون فيها بتزويده بعضاً من العسل مقابل أن يحرس النحل من الأعداء. تقول بثينة في تأملاتها: «بعد أن ذكر الطفل الرجل الشرير، اضطررنا أن نغير مسار الدرس، وأن نجعل وجوداً لهذا الرجل وماذا سيفعل بجانب خليه النحل. فلولا اليقظة والإصغاء لكل حديث الأطفال لما كان هناك تحول آخر»، مشددة على دور المعلم في اقتناص المواقف التعلمية النابعة من الأطفال والبناء عليها.

وعبر المعلمون عن دهشتهم من قدرات الأطفال الإبداعية، حيث تحدثت أروى عن تلك الرسومات التي تحوي حلولاً إبداعية لمشكلة الطفل المعاق الذي يريد أن يلعب في الملعب الذي بنوه (انظر الخطة في جدول رقم 1)، وعن النماذج التي صنعوها لنقل النمل من ملعبهم إلى مكان آخر دون أن يؤذوه. كما تحدثت إيمان زخارنة عن الحلول التي ابتكرتها طالبتها لمشكلة التلوث الناجمة عن المصنع في قريتهم (انظر إلى الخطة في جدول رقم 1)، وعن إبداعات الأطفال. وتقول: «إن وجود هذه الأنشطة يخدم الطالبات ذات المستوى الضعيف أكاديمياً، حيث أن هؤلاء الطالبات أصبحن يشاركن في الأسئلة التي تتحدث عن الشعور والرأي، الأمر الذي يتيح الفرصة أمام هذه الفئة لتأخذ حقها في المشاركة». أما أسماء فتقول حول ذلك: «لقد شاركت طلابي تعليماً صادقاً يسوده المرح والحوار والنقاش، وتبادل بناء الأفكار. لقد رأيت الحماس في عيونهم البراقة التواقة للعمل والرغبة المتواصلة في اكتساب المزيد، لقد شهدت إبداعاتهم وابتكاراتهم، وسمعت حوارهم ونقاشهم وأفكارهم، وقد هزتني وفاجأتني درجة نضوجهم. لقد عملنا كوحدة متكاملة تتبادل المعرفة والعلم، نستغل كل دقيقة وكل معرفة وكل تجربة لتتآزر معاً في الوقت المناسب».

وتحدث معتصم عن مدى تفاعل طلبة الصف الرابع المشاركين في المشروع مع التجربة الجديدة، حيث عمل مع تيم تيلر ضمن نموذج «التكلف» (Commission Model) الذي يعمل الطلبة من خلاله كمستجيبين لتفويض ما ضمن مطالب محددة وهيكلية زمنية معينة، ويجري إخراج النتائج في منشور ما. ضمن هذا النموذج، عمل معتصم وتيم مع الطلبة ضمن فريق مسوؤل وخبير في صناعة الأفلام من الدمى المتحركة على تلبية طلب موجه من طلبة تيم في بريطانيا في إعداد فيلم قصير يعبر بشكل ما عن الحياة في فلسطين من وجهة نظرهم. وكان المُخرَج عبارة عن فيلم قصير من دمى متحركة يعبر عن معاناة الأطفال الفلسطينيين من الاحتلال والجدار. تحدث معتصم عن تلك الطفلة التي غابت يوماً من أيام التطبيق، فتبرع زملاؤها بشرح وتفسير ما فقدته أثناء غيابها لتتمكن من الاستمرار. يقول معتصم: «هنا استطعت أن أقيم التجربة من منظور مختلف تماماً، من خلال الطلاب الذي نقلوا خبراتهم إلى زميلتهم من منظورهم وفهمهم الخاص، وقد فوجئت بهذا الالتزام الكبير الذي لم أعهده من الطلبة مسبقاً».

وأثناء هذه المرحلة أيضاً، تم تنظيم لقاءات تأملية وأيام دراسية في المركز، ضمت جميع المعلمين المشاركين وبإشراف لوك أبووت وباحثي المركز. وعبر المشاركون عن أهمية بناء خطة مرنة تفسح المجال أمام الأطفال لتحديد مناطق التعلم وفق خبراتهم وميولهم ووفق السياق المطروح في الخطة. وتحدث الجميع عن تلك المواقف التي تعلموا فيها شيئاً جديداً أثناء التطبيق. تقول إيمان: «عملي مع زميلتيَّ أميرة وإيما طور لدي بعض النقاط التي كنت بحاجة إلى تطويرها في عباءة الخبير؛ مثل: كيف أبدأ حصة ضمن توجه عباءة الخبير؟ كيف أبني مواقف درامية؟ كيف أصل إلى نقطة الالتقاء الموجودة في الدوائر الثلاث (المتعلقة بمنظومة عباءة الخبير أي بين الدراما وعباءة الخبير والاستقصاء)؟».

في المقابل، تحدث المعلم البريطاني المستضاف في مدرسة جلجليا الأساسية عن تجربته في تلك المدرسة مع أطفال الصف الرابع التي عملوا فيها كمحققين في التاريخ كانوا في مهمة تفحص جثة وجدت مدفونة قرب مغارة. يقول تيم: رسمنا على الورق هيكلاً عظمياً لشخص وجد مدفونا منذ زمن، ولاحظت طفلة ترسم له عينين، فنبهها طفل بجانبها بأن الجمجمة المتحللة لا يوجد لها أعين، بل تجويف مكان العين، وهنا قررت أن أوجههم إلى العلوم، وطلبت من معتصم إحضار الهيكل العظمي، وقاموا برسمه وتعلموا عن العظام. التعلم عن العظام حدث لهدف وهو بناء شخصية تلك الجثة. كم كان رائعاً، فقد أخرجنا العدسات، وتفحصنا العظام، وكانت مليئة بالجروح، فصورا تلك العظام وحددوا مكان الجرح، ووضعوا فرضيات حول سبب حدوث هذا الجرح. قال أحد الأطفال: «أعتقد أنه كان يركض وسقط من مكان عال»، وقالت أخرى «هذا مكان رصاصة اخترق العظم». وتوجّه ثالث بالقول: «انظروا: يبدو أنه كان مربوطاً بالحبل» . . . باختصار، لقد بنينا قصة هذه الجثة، وفحصنا الافتراضات وميزنا بين المشاهدة والاستدلالات، وجمعنا الدلائل والبراهين.

وتحدثت إيما سميث في إحدى الجلسات التأملية عن طفلة في مدرسة بيرنبالا الأساسية، فقالت: «بدت وكأن لا صوت لها، كانت مهمشة من قبل الآخرين، كنت ألاحظها عن قرب، ومع تقدم العمل لاحظت أنها تغيرت، حيث شاركتنا بأفكار غنية وساعدت الآخرين على فهمها. كانت تفضل العمل وحدها،

لكن كثيراً ما تشرك الآخرين بما تنتجه. في تلك اللحظات الحرجة، كان زملاؤها يساعدونها ويعطونها اهتماماً. يبدو أن المشروع مكّن هذه الطفلة، حيث أن الآخرين شعروا بأن عملها مهم وقدراتها عالية. هذا يظهر أهمية عملنا هذا، لأنه يصل إلى جميع الأطفال الذين يعانون ولا يتعلمون في تلك الطرائق المدرسية التقليدية».

ومع نهاية الأسبوع التطبيقي في المدارس، كان هناك لقاء تقييمي تحدث فيه المشاركون عن أثر المشروع على تعليمهم وعلى المدرسة ككل، حيث أكد الجميع التغيير الحاصل في مستوى التدخل من قبل الأهل. فمثلاً؛ تحدثت مها عن الاهتمام المتزايد لأولياء الأمور بمشاريع الأطفال، لأن أطفالهم يشاركونهم الخبرة، ويطلبون منهم المساعدة في جلب المعلومات المتعلقة بالمشروع. أما إيمان، فتحدثت عن أثر المشروع في دمج العائلة نظراً لطبيعة المهام التي يقوم بها أطفالهم، وتحدثت عن وجود إحدى الأمهات وهي عضو في مجلس الآباء في المدرسة طيلة الأسبوع لتتعلم عن عباءة الخبير، وتدعم هذا التوجه في مجلس الآباء. أما أروى، فتحدثت عن نظام العلاقات الذي تغير في ذلك الأسبوع؛ كون المشروع تطلب مشاركة الزملاء في مدرستها في التخطيط ومشاهدة الحصص المطبقة مع الزميلة البريطانية. كما تحدثت عن الأهالي الذين سمعوا عن التجربة من أطفالهم منذ اليوم الأول، فجاءوا إلى المدرسة ليشاهدوا. تقول أروى: «الأهل يريدون أن نستمر في هذا النهج طيلة العام، فعبروا عن إعجابهم بالطريقة وتفاجأوا بمستوى تفكير

أطفالهم وطرحهم للأسئلة في البيت حول ما تعلموه في الصف، فالأهل يريدون أكثر وأكثر». هنا نستطيع أن نقول إن المشروع دعم الطفل ليعبر عن تعلمه ومهاراته بأشكال مختلفة، فصوت الطفل بالأساس هو أساس التغيير في النظام التعليمي.

ومن الجوانب الأخرى التي تلفت الانتباه على حد قول المشاركين في المشروع، هو اهتمام إدارة المدرسة بالنهج الجديد في التعليم، حيث حضر مديرو المدارس والرياض المشاركة في المشروع بعض الحصص، وعبروا عن رغبتهم في نقل الخبرة إلى المعلمين الآخرين في المدرسة. أحد مديري المدارس المشاركة عبر عن دهشته لوجود مدير مدرسة بريطانية في مدرسته (ريتشارد) ويعمل مع أطفال روضته، يجلس على الأرض، يرسم ويلعب مع الأطفال، وفي الوقت نفسه، يقوم بنقل خبراته إلى معلمي المدرسة الذين كانوا يشاهدونه أثناء التطبيق.

وفي ختام هذا اللقاء وهذه المرحلة التطبيقية في المدارس الفلسطينية، خرجنا بالتوصيات التالية:

1. رفع مستوى التنسيق وترتيب برنامج المعلمين في المدرسة المضيفة ليتسنى لعدد أكبر من المعلمين الانخراط في التجربة ومشاهدة الحصص.
2. زيادة فترة اللقاءات التأملية البعدية، لما لها من أثر في فهم الأحداث والفعاليات من منظورات مختلفة وتذويتها وربطها بتجارب أخرى مشابهة.

3. الاستمرار في تبادل الخطط والأفكار عبر البريد الإلكتروني.
4. التنسيق مع العائلة بشكل منظم، لكي يتسنى لهم التعرف على قدرات أطفالهم.

المرحلة الثالثة:
مرحلة التطبيق في المدارس البريطانية

تم التحضير خلال نيسان وأيار وأوائل حزيران – 2011 لزيارة المعلمين الفلسطينيين إلى بريطانيا، وبناء برنامج لمدة أسبوع تخلله لقاءات تقييميه وتبادل زيارات بين المدارس، ويوم دراسي مع البروفيسور دوروثي هيثكوت مؤسسة توجه عباءة الخبير في التعليم، واختتام الأسبوع بيوم تقييمي في مؤسسة عبد المحسن القطان في لندن.

توزع المعلمون الفلسطينيون في يومهم الأول على المدارس البريطانية، حيث استقبلهم مديرو المدارس والمعلمون والطلاب استقبالاً حاراً. لكل معلمة تجربتها الخاصة في المدرسة التي نزلت فيها، لكن أريد هنا أن أتحدث عن تجربتي كوني كنت مع معلمات دار الطفل – عرعرة (بثينة وأريج وسمر) في مدرسة (Bealing)، وهي مدرسة أساسية وتتضمن مرحلة البستان والتمهيدي ضمن المرحلة النظامية الأساسية (أي أعمار 4 –12 سنة). استقبلنا المدير دانكين ودعانا إلى اجتماع الصباح مع طلبة المدرسة، الذين كانوا يجلسون على الأرض في انتظار قدومنا.

سأتحدث هنا عن الاجتماع الصباحي الذي فاجأني كثيراً، حيث جلس المدير على الأرض وسط التلاميذ وطلب الإذن من أحد الطلبة الذي كان يقود الاجتماع بالكلام، وقال» اليوم هو يوم مميز، لدينا ضيوف من فلسطين، بعضكم تعرف عليهم من خلال الصور التي أتت بها جوليا، وها هم الآن بيننا ولمدة أسبوع، سنتعلم منهم الكثير، وسيتعلمون منكم الكثير». صفق لنا الجميع، وكنت أراقب نظرات التلاميذ تتوجه إلينا بابتسامات الترحيب. وتحول الحديث في الاجتماع عن تلك المشاكل التي ساهم الطلبة في اقتراح حلول لها، وتلك التي حلت فعلاً بجهودهم. إحدى المشاكل وجود منطقة صخرية صغيرة على شكل حفرة في باحة المدرسة، وكانت تمتلئ بالأوساخ وأوراق الشجر ومياه الأمطار، وتحولت بجهود فريق من الطلبة من صفوف مختلفة إلى حوض مائي وضعوا فيه أسماك وضفادع لكي يتعلموا عن حياتها كمتطلب لمنهاج العلوم. في هذا اللقاء، تحدث كل طالب عن مساهمته في هذا المشروع، وكان الطلبة يسمعون ويصفقون. وفي ختام اللقاء، عرض رئيس اللجنة المالية للصندوق الطالب (أحد طلبة الصف السادس) ميزانية الصندوق الذي جمعه الطلبة خلال العام الدراسي، واقترح البعض شراء أجهزة (IPADS) ليضعوها في كل صف من صفوف المدرسة. وأعلن المدير خبر موافقة إحدى الشركات التطوع بتطوير شبكة الإنترنت في المدرسة لكي يحصلوا على سرعة أكبر، وفرح الطلبة بهذا الخبر وصفقوا جميعاً. بعدها

طلب المدير من الجميع التصفيق للجنة الطلبة التي كانت تقود عمل الطلبة منذ عام دراسي كامل، والطلب منهم الاستعداد لاختيار مجموعة أسماء للجنة جديدة تتولى مهام الطلبة للعام المقبل. فض الاجتماع وذهب الطلبة إلى صفوفهم، وذهبنا مع جوليا إلى صفها لكي نطبق حصة مع الأطفال حول موضوع النحل. اخترنا موضوع النحل مجدداً (حيث طبقنا الدرس في فلسطين) لنتعلم عن ممكنات الموضوع في سياقات مختلفة.

كنا نشاهد حصصاً مختلفة لمعلمين مختلفين وفي مواضيع عدة. تفاجأت من كون التوجه الذي يقود التعليم في تلك المدرسة هو عباءة الخبير، وتفاجأت أكثر لكون التعليم عبر تجربة واحدة في عباءة الخبير تستمر شهرين، وبعضها لفصل

دراسي كامل. فمثلاً، حضرنا حصة في موضوع التاريخ لجوليا (مرحلة الخامس والسادس في الصف نفسه)، وكان الموضوع عن الحرب العالمية الثانية. حدثتنا معلمة الصف جوليا عن هذا المشروع وقالت: «نحن في سياق عباءة الخبير منذ ثلاثة أشهر، فالطلبة في الصف هم في دور شركة «تعزيل» بيوت لها سمعة في «تعزيل» عدد من البيوت القديمة والحديثة بعناية ودقة مع احترام الموجودات في البيوت، والتعامل معها بحساسية عالية، ونقلها إلى مكان مناسب لها. بنيت السياق مع بداية الفصل الدراسي لكي يتعرف الطلبة على أثر الحرب العالمية الثانية على التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية التي حدثت منذ العام 1930، وعلى حياة الرجال والأطفال، بالتركيز على السؤال الاستقصائي: كيف أثرت التغيرات الاجتماعية والتكنولوجية على أفراد المجتمع. افترضت أن الطلبة سيهتمون بالحرب وآثارها، وسينجذبون لدراسة أسرة كانت تعيش في حقبة الحرب، فبنينا الخبرة والأدوات اللازمة لشركة التعزيل، وتعرفنا على البيوت العام 1930. الزبون، وأبناء عائلة آن وبيتر (أسماء تخيلية) يريدون تعزيل وبيع منزل والديهما اللذين توفيا عن عمر يناهز التسعين، وعاشا فترة الحرب العالمية الثانية 1945. فالمهمة صعبة على الأبناء، لأن مقتنيات المنزل مهمة، ولا بد من نقلها لمكان مناسب، وليس لديهم وقت، فهم متفرقون في دول مختلفة. بدأنا التعرف على شكل البيوت في منطقة فيكتوريا التي عاشت فيها العائلة منذ الحرب العالمية الثانية، وتحدثنا عن الأغراض التي يمكن أن توجد لدى آن وبيتر، وتعرفنا على الألعاب التي كانت تصنع في تلك الحقبة، والأثاث، واخترعنا مقتنيات مهمة، ومن خلال تلك الأغراض بنينا شخصية آن وبيتر وصنعنا صورهما. بنينا شجرة العائلة حتى وصلنا إلى الأبناء، ومن خلال الرسائل التي وجدناها في غرفة النوم، تعرفنا على شخصية كل واحد منهم. درسنا اليوم يميل أكثر نحو التكنولوجيا، وبخاصة الآلة الموسيقية، حيث وجدنا في غرفة آن آلة موسيقية وأسطوانة قديمة مهداة من إحدى زميلاتها. سنتعرف على آلية عمل الآلة، ونقارن الأسطوانة الموسيقية القديمة مع الأقراص المدمجة الحديثة من حيث المواد التي صنعت منها، والسعة، والحجم. سنرى ماذا سننتج معاً، لكن أفكر أن أتدخل بعض الشيء واضع ميدالية شرف فيكتوريا في صندوق مقتنيات بيتر والموجود في غرفته، ولم يتم فتحها بعد، فالميدالية تعني أشياء كثيرة، وتتحدث عن حياة بيتر ودوره، لا أعرف متى أتدخل لكن لنرى كيف يقودنا الطلبة اليوم».

أردت من هذا الاقتباس أن أركز على دور المعلمة في بناء السياق والتخطيط في إطار عام يقود خلاله الطلبة عملية التعلم. كما أردت الإشارة إلى كيفية تجسيد المعلمة للتوجه التكاملي أو عبر المناهجي بكل معنى الكلمة. رأينا الطلبة يعملون في مجموعات ويبحثون عن الآلات الموسيقية القديمة عبر الإنترنت، ويتعلمون عن الأسطوانات القديمة، ويعرضون لزملائهم النتائج، ويقترحون أفكاراً تتلقفها المعلمة للبناء عليها ضمن حدود السياق. إحدى الطالبات تذكرت قصة مع جدتها التي كانت

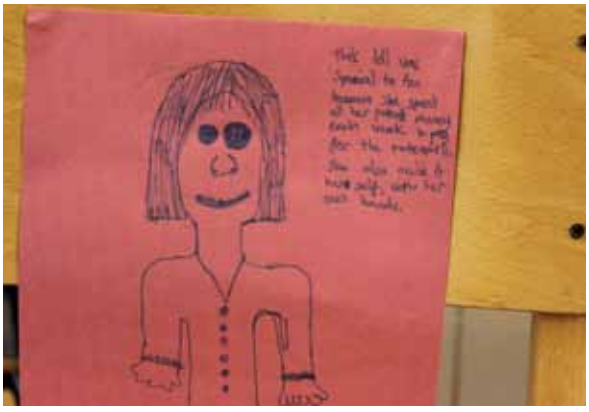

بحوزتها اسطوانة موسيقية قديمة لمغنية تحبها، كانت تستمع لها دائماً، لكن بعد أن تعطل الجهاز القديم لم تعد تسمعها، فأسمعتها الغنية عبر الإنترنت وكانت فرحتها كبيرة. شكلت قصة الطالبة سياقاً رائعاً للمعلمة لتتحدث عن التكنولوجيا من حيث الإيجابيات والسلبيات والآلام التي تحدثها للبشرية. قام الطلبة أيضاً بعمل تمثيلات أيقونية لأغراض مختلفة وقاموا بدراما لحظة اجتماع الجيران في منزل العائلة عند شرائهم لأول تلفزيون صنع العام 1953، حيث بنوا السياق الدرامي هذا من خلال رسالة من أحد الجيران إلى آن تشكرها فيها على حسن الاستقبال، وتبارك لها التلفاز الجديد. كما قام الطلبة بالتخطيط لعمل درامي في لحظتين من حياة العائلة: لحظة سعيدة، ولحظة صعبة. كان صفاً مفعماً بالحياة والنشاط.

وتحدث المعلمون المشاركون عن التجارب الغنية التي عاشوها في المدارس البريطانية. تتحدث إيمان عن تجربتها في مدرسة (Kingston) وتقول في يومياتها: قد استفدت من تجربة المعلمة جيما (Gemma) حيث كان الموضوع عن القراصنة للصف التمهيدي وربط ذلك بالبحر والجزيرة والقوارب. وهذا مرتبط بالعلوم والرياضيات، حيث جعلت الأطفال يعطون أمثلة على أعداد معينة، بالإضافة إلى استخدام الرسم لبناء جبل بركاني، ورسمت إشارة «خطر» الأيقونة، وهذا مهم لتعليم الأطفال الإشارات العالمية، وكانت جيما تقوم بالرسم من أجل الانتقال إلى مرحلة تعلمية أخرى. تعلمت كيف أربط منهاج العلوم

والرياضيات ضمن عباءة الخبير، وهذا مهم جداً بالنسبة لي».

وتتحدث مها التي كانت أيضاً في مدرسة (Kingston) عن تجربتها وتقول: «تعلمت أن نوعية اللغة المستخدمة والخطاب الذي تتحدث به مع الأطفال هو في غاية الأهمية، ولا بد أخذه في الحسبان لما له دور في تأطير الأطفال داخل فريق مسؤول. مثلاً: استخدمت جيما هذا النوع من الخطاب: هل تستطيعون مساعدتنا كونكم خبراء في بناء السفن؟ شكرا لكم! لقد كنتم عوناً كبيرا لنا. هل تستطيعون إخباري كخبراء في النقل كيف أفعل هذا؟ أيها الناس، هناك مشكلة، جاءتنا رسالة تقول .....». وتضيف مها: تعلمت استخدام عناصر الدراما: صوت/ صمت، حركة/ سكون، إضاءة/ ظلام. من خلال خفض نبرة الصوت وإعلائها، التوقف والتفكير، تخيل البيئة في ظلامها وإضاءتها خلال العمل مع الأطفال بالمشاريع».

أما بثينة، فتتحدث عن النظام التعليمي، وتقول: «من خلال مشاهدتنا لنظام المدرسة والتعليم، لاحظنا أن الأطفال فعالون جداً، وهم في المركز، ولم نشعر أن هناك مللاً بين الأطفال على الرغم من اليوم الدراسي الطويل، حيث كان من الثامنة وحتى الثالثة والنصف مساء. كانوا يعملون بكل نشاط كأنهم خلية نحل. الأطفال هم في المركز، وكل شيء يدور من حولهم، هم الباحثون والمستكشفون، ولديهم القدرة على استخراج المواد والمعلومات ومساعدة المعلم في استمرارية للتوصل للهدف

المنشود. فمثلاً، في الصف الثاني عند المعلمة (Kelly)، تناولنا موضوع الفئران الصغيرة في سياق فريق مسؤول للتخفيف من خوف الفأر المستمر، حيث بني السياق اعتماداً على قصة «مخاوف الفأر الكبيرة» (Little Mouse's, Big Book of Fear) للكاتبة (Emily (Gravett. وقد بدأت (Kelly) هذه العباءة منذ ستة أشهر. شاهدنا في الحصة كيف عمل الأطفال معاً على بناء قرية للفئران (خارطة البلدة، تخطيط هندسي)، وابتكار آله «التصغير» الخيالية، وهي عبارة عن غرفة من الكرتون يدخلها الطفل، ويضغط على أزرار معينة فيتحول الإنسان فيها إلى حجم الفأر؛ بهدف الشعور مع مشاكله والحديث معه. وابتكر الأطفال أيضاً أدوات للمراقبة والحراسة لهذه الغرفة، مثل السماح للدخول باستخدام البصمة والكاميرات، وكلها صنعت من مواد خردة؛ كرتون وورق وألوان غير مكلفة. ولمعالجة خوف الفأر من الضجيج، صنعوا له من خيوط الصوف والورق المقوى غطاء الأذن، ولكي يفحصوا مدى فعاليته، استخدمت المعلمة مجس الصوت الإلكتروني الذي يقيس قوة الصوت برقم معين، فوضع الأطفال الخيط الذي صنعوه على المجس واستخدموا الجرس ليقارنوا بين شدة الصوت بوجود الغطاء وبدونه، وعملوا رسماً بيانياً لمحاولات عدة. كانت فكرة رائعة في إدخال العلوم ومهارات القياس ورسم البيانات للخروج بنتائج حول جودة المنتج الذي صنعوه».

أما فيما يتعلق بالبيئة المدرسية، فقد لاحظنا جميعاً أن أعمال الأطفال من رسومات، ومشاريع مكتوبة وحتى خطط تعليمية، كانت معلقة على جدران الصفوف والممرات تقديراً لجهودهم، وكطريقة للإعلام. تتحدث أريج في يومياتها عن بيئة مدرسة (Bealing) وتقول: «توجد بيئة صفية غنية، وكانت الأغراض بمتناول اليد، يستطيع الأطفال استعمالها متى شاءوا وضمن متطلبات العباءة. أما المعلمة، فكانت تجلس على الكرسي أو الأرض وسط الأطفال، والصفوف مفتوحة على بعضها البعض، بينها أبواب شفافة لا تحجب الرؤية، وإنما تكسر الحواجز، فلا تشعر وكأنك في صف بل في بيت دافئ يضم الجميع.

وتتحدث فيفيان عن النظام والبيئة المدرسية في مدرسة (Surlingham) وتقول: «من خلال زيارتنا للمدارس لاحظت انضباط الطلاب وخروجهم ودخولهم للصفوف دون قرع جرس، ولا الوقوف في طابور مدرسي، ورأيت قدرة الطلاب على إدارة المكان بمجرد إعطاء المعلم لهم إشارة الانطلاق، حيث يقومون بتوزيع المهام فيما بينهم، وأخذ الأدوار كشركاء في العملية كلها».

أما معتصم الذي زار مدرستين (Surlingham) و(St. Aiden)، فلخص مشاهداته حول البيئة المدرسية بما يلي: كل شيء متوفر وفي متناول الأطفال؛ قرطاسية، ألوان، كاميرات، أجهزة حاسوب، طاولات. كانت هناك حرية في استغلال المكان والأدوات والأغراض، كل شيء يبدو ملكاً

للأطفال وفي متناول أيديهم. لا يوجد قانون للملكية نحافظ به على أغراضنا، الحركة تعاونية جماعية، الضمير المستخدم دائماً نحن، ولا توجد لغة الأنا، أكثر من يقرر في الصف الطالب، لم أسمع في الصف مرة واحدة كلمة: لا، أو هذا غير صحيح، لا توجد لوحات شرف أو نجوم للمتفوقين، لم أشعر أن الوقت عامل مهدد، كل شيء كان يسير بتأمل وتمعن وكان يعطى لكل شيء حقه، أولياء الأمور لهم حضور واضح ومميز في المدرسة وفي غرفة الصف، لا يوجد جرس في المدرسة ولا طابور، فالكل ملتزم بالمواعيد والواجبات، وما أدهشني من الأطفال الجرأة في التعبير والحوار الفعال، لم ألحظ مع الأطفال حقائب مدرسية أو كتباً مقررة، لم أميز المعلمين وتخصصاتهم سوى معلم الرياضة الذي كان مع

الأطفال في الملعب».

أريد أن أتحدث بعض الشيء عن دور مدير المدرسة في مدرسة (Bealing) التي كنت فيها، حيث حرص على أن يلتقي بنا مع نهاية اليوم الدراسي، يطرح علينا أسئلة تتعلق برأينا في الحصص، وعن التعليم في فلسطين. في أحد اللقاءات عبر المدير عن رأيه في منظومة عباءة الخبير كتوجه يقود المدرسة، حيث قال: أنا أدرك أهمية هذا التوجه في المدرسة، وأرى نتائج ملموسة على الأطفال وبشكل مباشر. أنا أكافح في هذه المدرسة للحفاظ على هذا التوجه على الرغم من وجود الموجهين الذين يطلبون منا التقيد بالمنهاج الوطني. أقول لهم: «نحن نعلم بهذه الطريقة، وما عليكم إلا أن تروا نتائج الخريجين من مدرستنا

في الامتحانات الوطنية، فهي من أعلى العلامات، فنحن لا نعلم من أجل الامتحان، هذا ما أقوله دائما لهم». ويضيف: «أحاول هذه الأيام أن أروج إلى توجه مساند آخر وهو التعلم عبر المشروع، الذي تتبناه مدرسة ريجيو ايميليا (وأشار إلى كتاب مئة لغة للأطفال – دور مدرسة ريجيو إيميليا)، حيث عملت مع المعلمين جميعاً على مشروع بناء بيوت للسكان الأصليين الذي تواجدوا في هذه البلاد قبل ألف سنة. أعتقد أن التعلم عبر المشروع غني جداً تماماً كعباءة الخبير، التي قد تقود في سياقها مشاريع صغيرة أيضاً». واصطحبنا المدير إلى ساحة المدرسة الخلفية، حيث البيوت القديمة التي بناها الأطفال لتحقيق أهداف المشروع. فهنا نتحدث عن مدير منغمس في التوجه، ومطلع على توجهات أخرى، يعمل على مساندة المعلم والطلبة في المدرسة لإنجاح الأفكار والتوجهات التعلمية الحديثة.

تتحدث مها في تأملاتها عن مدير مدرسة (Woodraw) وتقول: «بالنسبة للمدير فهو داعم للمعلم والطفل على حد سواء، فهو قريب من المعلمين والأطفال، يعمل على دعم الطفل النفسي وإعطائه نوعاً من الثقة بالنفس من خلال المهمات الخاصة، من المهم أن يكون المدير على علم ودراية بالتوجه وبأعمال الأطفال والمعلمين».

وتتحدث سمر عن المدير وتقول: «إن نجاح المدرسة في عباءة الخبير يعود إلى كون مدير المدرسة متفهماً ومسانداً وداعماً لذلك التوجه، ولديه إيمان قوي بأسلوب العمل. يعمل المدير

دائماً على التواصل الدائم بينه وبين الأطفال والمعلمات كأنهم عائلة واحدة. فمثلاً؛ اللقاء الصباحي كل يوم اثنين، يأكل بين الأطفال، يعرف كل طفل في المدرسة شخصياً بأسمائهم، يتحدث معهم في أي وقت».

قضينا في المدارس البريطانية أسبوعاً كاملاً، وفي اليوم الأخير لنا، ودعنا الطلبة والمعلمين كل حسب طريقته، وتبادلنا الهدايا التذكارية، وتعاهدنا على الاستمرار بالمراسلة.

اليوم الدراسي مع مؤسسة منظومة عباءة الخبير – دوروثي هيثكوت

سمعنا عن البروفيسور دوروثي هيثكوت كثيراً، وقرأنا لها الكثير، لكن لم تتح لنا الفرصة للقائها عن قرب، وسنحت لنا الفرصة لذلك في 15/ 6/ 2011، حيث نظم يوم عقد خصيصاً لنا. وسمعنا أنها كانت تقود ورش عمل وأنشطة في عباءة الخبير بفعالية ونشاط. تقف وتتخذ أدواراً متنوعة، وتتحرك بنشاط وحيوية لقيادة عباءة ما، لكنها اليوم اتخذت مكاناً في القاعة وبقيت جالسة فيه طوال اللقاء الذي دام 3 ساعات تقريباً. بدت متعبة، فهي تبلغ الـ 85 من العمر، لكن بعد أن بادرت بالحديث، شعرت مدى قوتها وقدرتها على القيادة وهي في مكانها. كان اللقاء حول مبدأ «دينترايت» أو (The Dentrite Principle) أي كيف تولّد فكرة ما أفكاراً عديدة، وتنتج الفكرة المركزية معاني وأفعالاً كثيرة جداً.

استمعنا إلى مبدأ دينترايت، وحاولنا أن نقارب هذا المفهوم النظري مع ما خبرناه في المدارس البريطانية، واستطعنا أن نفهمه من منظور معين، منظور المعلم الذي يطرح فكرة، فينتج منها الأطفال أفكاراً فرعية وأنشطة عديدة، والعكس صحيح أيضاً؛ أي أن الطفل ينتج فكرة ما، فيتناولها المعلم ويحولها إلى أفكار متشابكة جديدة وفعالة. حاولت دوروثي أن تعطي مثالاً عبر موضوعة الثقافة، وطلبت منا التفكير بعناصر الثقافة: الحروب، العبادة، التعلم، التغذية، القانون، الترحال، النقل، الأسطورة، المأوى، الحماية، ... الخ. طلبت منا اختيار عنصر واحد وأن نتخيل أفكاراً فرعية وثيمات لهذا العنصر، وأن نفكر في الأشخاص الذين يعملون ضمن هذه الثيمة. وفي القسم الأخير من اللقاء طبقنا مع دوروثي عباءة موضوعها الحرب، خصيصاً للأطفال بين 4-6 سنوات، وتتلخص في كوننا عمالاً في مؤسسة خيرية تستقبل تبرعات للجنود، نصنفها، نفرز الجيد من الرديء، نغلف، نعنون، نرسل، نستقبل، ... وهكذا. كانت دوروثي في دور مدير المؤسسة، وكنا نتحاور ونبني الخبرة والتاريخ، وشعرت أن التجربة غنية إذا ما طبقت فعلاً مع الأطفال.

ورشة العمل التقييمية – مؤسسة عبد المحسن القطّان في لندن

التقينا جميعاً في اليوم الأخير من الزيارة في قاعات الموزاييك

التابعة لمؤسسة عبد المحسن القطّان في لندن، وذلك لكي تعرض المجموعات خبراتها وتجاربها التي قامت بها في المدارس البريطانية. وحضر اللقاء السيد عبد المحسن القطّان وعمر القطان. كما تمت استضافة البروفيسور ديفيد ديفس المتخصص في مجال الدراما التكونية، وزوجته ألين آشبي المتخصصة في موضوع صعوبات التعلم، والبروفيسور كارول أوبري المتخصصة في مجال الطفولة المبكرة في جامعة ويرويك البريطانية.

بعد الترحيب والتعريف بالأسماء، وشرح موجز من قبلي عن المشروع، عرض المشاركون الفلسطينيون نبذة عن المدارس التي زاروها والحصص التي شاهدوها، وتحدثوا بإسهاب عن

الخبرات التي تعرضوا لها نتيجة وجودهم في المدارس البريطانية والعمل مع زملائهم البريطانيين من مدرسين ومديرين وطلبة ومدى مساهمتها في تنمية قدراتهم المهنية في مجال عباءة الخبير.

تحدثت بثينة وسمر اللتان عملتا مع جوليا في مدرسة (Bealing) عن مدى التكامل بين المرحلة الأولى من البرنامج، أي مرحلة زيارة البريطانيين إلى فلسطين وهذه المرحلة، مبينة أن السبب يعود إلى التخطيط الجيد للبرنامج بنواحيه المختلفة. وتقول: «لقد حضّرت جوليا مسبقاً معلوماتها عن مؤسستنا وعن كل معلمة مشاركة بمشروع التبادل، وقامت بعمل بوستر تظهر فيه صورنا واهتماماتنا وصور لأطفال روضتنا مع جوليا أثناء وجودها في فلسطين، وهذا وحده كان كافياً ليشعرنا ويشعرهم بأننا لسنا أغراباً، حيث شعرنا أنهم يعرفوننا من قبل، وأننا جزء خاص من هذه العائلة الكبيرة المميزة». وقامت بثينة بعرض جزء من النشاطات والحصص التي صورتها في المدرسة، وتحدثت بإسهاب عن برنامج عباءة الخبير فيها. وأضافت: «يتميز الأطفال بقدرتهم على العمل ضمن دراما عباءة الخبير بسبب خبرتهم الطويلة ودعم المدير والمعلمات والعائلة لهذا التوجه». وتحدثت سمر عن الرابطة التي تكونت مع الأطفال هناك، وتقول: كانوا سعداء باستقبالنا وملاقاتنا كل صباح، وتوديعنا بعد الظهر، وكانوا يلقون علينا التحية باللغة العربية، كانوا يقتربون منا بكل محبة، ويسألوننا عن بلادنا وأطفالنا ومدارسنا وعائلتنا وعن كل شيء، حتى الأطفال عندما كانوا يريدون شيئاً من المعلمة كانوا يتوجهون إلينا. حدثوا عائلاتهم عنا، وتلقينا دعوات لوجبة عشاء من قبل أحد الأطفال، حتى أن المدير نفسه قال إنه وبحق شعر من خلال تقييمه لهذه الزيارة في حفلة الوداع المؤثرة من قبل الطاقم الإداري والأطفال بأننا أحدثنا تغييراً إيجابياً ملموساً على الجميع، وأنه كان سعيداً جداً بقدومنا إلى مدرستهم، وانه ينتظر وبكل تشوق زيارة مدارسنا، وأن أطفالهم ليسوا معتادين على أن تقبل الغريب في مدارسهم، لكن هذه الزيارة غيرت ذالك، وعرفتهم علينا كشعب عربي وديانة أخرى وثقافة مختلفة».

وتحدث معتصم عن تجربته في مدارس بريطانيا قائلاً: كان

لعرض الفيلم الذي أعده طلبتي عن الجدار وقع كبير على الطلبة البريطانيين، فلم يتوقفوا عن طرح الأسئلة، وتعلموا الشيء الكثير عنا وعن المعاناة التي يعيشها أطفال بعمرهم في فلسطين. كذلك تعلمت عن الدور أكثر، فنحن في فلسطين نلعب أدواراً لكن تبقى شخصيتنا السلطوية كمعلمين طاغية حتى ونحن في الدور، يجب أن ننزل إلى الطلبة في الدور». يضيف معتصم عن التجربة بشكل عام: «لقد كانت هذه التجربة بالنسبة لي غنية بقدر لم أتخيله، فأن تسمع عن التجربة شيء، وأن تخوضها شيء آخر. لم أتخيل يوماً ما أني سأجلس في صف في بريطانيا وأشارك معلماً فيها خبرتي وتجربتي، وأستفيد من خبرته وتجربته. راقبت كل صغيرة وكبيرة، وتعلمت الكثير على المستوى المهني والشخصي، وبدأت أفكر منذ اللحظة الأولى بالطريقة التي يمكن أن أنقل كل ما أرى إلى صفي وبدأت أخطط للتغير، وهذه المرة كان أمامي خبرتي السابقة ونماذج واضحة وتصور غني لما يمكن أن يكون عليه التعليم في صفوفنا، وتمنيت لو أن كل معلم في فلسطين شاهد ما شاهدت. من واجبي أن أنقل هذه التجربة لكل المعنيين، ولكل من يشاركني حلم تطوير التعليم في فلسطين، وأن نجعل من معلميها نخبة لهم تجربتهم وخبرتهم ومكانتهم بين الشعوب، وقادة للتعليم في العالم».

وتتحدث فيفيان عن تجربتها وتقول: «شاهدنا ثلاث تجارب في ثلاث مراحل، ولفت انتباهنا توظيف التكنولوجيا في البيئة الصفية، وأن الأطفال شركاء في إنتاج الأشياء داخل الصفوف. لفت انتباهنا أن المعلمين يعملون في عباءة الخبير في فترة زمنية طويلة، بعكسنا نحن، حيث كنا نخطط وننفذ في حصة أو حصتين. كذلك لفت انتباهي العمل المشترك بين المدير والمعلمين والأهل في دائرة واحدة وعمل متناغم من أجل تحقيق الأهداف، حيث في اليوم الثاني من وجودنا زارنا أحد الأهالي وحضر معنا الحصص ولعب معنا أدواراً». وأوصت فيفيان في ختام حديثها بضرورة وجود تخطيط مسبق، واقترحت فكرة حول ذلك، فتقول: «اقترح أن يتم عرض مشروع مشترك بين المعلمين البريطانيين والفلسطينيين، يناقشونه ويطورونه مع بعضهم، ويطبقونه في فلسطين وبريطانيا، هذا قد يعود بالفائدة علينا أكثر».

وعرضت إيمان تجربتها وتحدثت عمّا تعلمته في هذه الزيارة. تقول إيمان: «تعلمت كثيراً كيف أربط المنهاج بعضه ببعض، فمن خلال درس الدب الذي عرضه ريتشارد، وظف الرياضيات بشكل رائع، وأيضاً العلوم. كما تعلمت كثيراً كيف يمكن أن يتعلم الأطفال ذوو التحديات ضمن منظومة عباءة الخبير. فمثلاً، تفاجأنا من رسمة طفل لسفينة في غاية الدقة والتفاصيل، وعرفنا من آن فيما بعد أن الطفل الذي رسمها يعاني من ضعف في التركيز، والتشتت، وقلة الانتباه في الصف».

وتحدثت جوليا عن تجربتها مع المعلمين الفلسطينيين في مدرستها (Bealings)، وتقول: «لقد كانت تجربة غنية لأطفال المدرسة، فنادراً ما تسنح الفرصة لهم للتعرف على ثقافات مباشرة من أناس من خارج بريطانيا، فلاحظنا خلال الأسبوع التغيرات التي حصلت على أفكارهم ومفاهيمهم، وكثيراً من الأمور التي كانوا يعتقدون أنها مختلفة وجدوا أنها متشابهة، وكان وجود المعلمين الفلسطينيين معهم في الصف، وحتى في الفرصة خارج الصف، مهماً جداً، فقد كانت تجربة تعلمية رائعة لهم».

ويؤكد تيم من مدرسة (Surlinghan) على كلام جوليا ويقول: «هذه فرصة نادرة للأطفال لكي يتعرفون على الثقافة الفلسطينية، وكان تأثير الفيلم الذي أعددناه أنا ومعتصم كبيراً جداً، وساعدهم على فهم أمور كثيرة عانوا كثيراً لكي يفهموها عن القضية الفلسطينية».

ووجه لوك أبووت كلامه للمعلمين الفلسطينيين في مداخلته فقال: «يجب ألا تنسوا الأثر الكبير الذي فعلتموه على منصة واسعة هنا في إنجلترا، فالقصص التي نتجت عن هذا البرنامج كانت مثيرة للاهتمام، وأحد المدراء قال لي «ولا أريد أن استفزكم» قال لي: فلسطين، هذا اسم قديم لإسرائيل، ما ولد نقاشاً عميقاً بيني وبينه، لأن في بريطانيا مفهوماً خاطئاً، الناس لا تفهم ما يحدث في فلسطين، لذلك فإن القصص التي تبادلتموها مع التلاميذ والمعلمين البريطانيين تنقل إلى العائلة، لأن الطلبة سيطرحون أسئلة على أهاليهم، فهذا له تأثير كبير جداً على فهم البريطانيين لهذه القضية».

وعلق ديفيد ديفس على حديث لووك وقال: «ذهبت للبريد لكي أرسل كتاباً وقلت لهم إلى فلسطين، فقال لي، ماذا، لا يوجد بلد عندي اسمه فلسطين، وهذا سائد في بريطانيا لأنهم لا يعترفون بفلسطين كدوله. وبعد أن تحقق من الموضوع قال لي: آه تعني إسرائيل، وأوقفت الطابور لفترة طويلة لكي أشرح له عن فلسطين، أنتم بهذا العمل ساهمتم كثيراً في التعريف عن فلسطين وبشكل مضاعف».

أما إيما من مدرسة (Surlinghan) فقالت: «تعلمت كثيراً من وجود أروى ومها وإيمان في مدرستي، فقد جعلنني أكثر تأملاً بما أشاهده وأعمله، لقد تعلمت منهم كثيرا لأنهم شاهدوني وتحدثوا معي عن التطبيق ووجهوا لي الأسئلة، وهذا جعلني أفكر من جديد بما أفعله».

وعقب عمر القطان على ما شاهده وسمعه من تجارب وتعليقات على برنامج التبادل، وقال: «واضح أن البرنامج له تأثيرات كبيرة على المعلمين من كلا الطرفين، وبالتالي يمكن أن نخصص على موقع القطان الإلكتروني مكاناً لمثل هذا العمل، وكذلك أن يكون هذا المكان (قاعات الموزاييك) مكان التقاء المعلمين والحديث عن تجاربهم وتمديد الشبكة، فواضح أن عباءة الخبير نظام مؤثر ومهم».

توصيات

نعرض هنا بعض التوصيات التي أقترحها المشاركون أضعها كاقتباسات من تأملات المشاركين أنفسهم:

» «أفضل أن يكونوا الطلاب مهيئين سلفاً لزيارتنا، ولديهم لمحة ولو بسيطة عنا كشعب فلسطيني وعن طبيعة حياتنا وعن سبب زيارتنا حتى يشعروا براحة أكبر في التعامل معنا، كما أفضل أن يكون هناك انخراط أكبر في العمل مع المعلمين والطلاب أثناء الزيارة، حتى نستطيع أن نكون تصوّراً أعمق حول الطريقة التي يتجاوب فيها الطلاب مع اللحظات، والطرق التي يستخدمها معلموهم في التعامل معها والبناء عليها. كما أعاود التأكيد على أهمية التواصل مع المعلمين من كلا البلدين منذ بداية المشروع، والعمل على بناء تخطيط مشترك يقومان كلاهما بتنفيذه، كل مع طلابه، مع تقديم تغذية راجعة للعمل بين فترة وأخرى، وعند القيام بالزيارات المتبادلة يكونان قد كوّنا فكرة واضحة، ويستطيعان بذلك العمل معاً بكل سهولة» (فيفيان طنوس).

» «أؤكد على أهمية تبادل الخطط مع الفريق البريطاني قبل السفر، والعمل مع أطفالنا على هذه الخطط لمعرفة مخرجات العمل مع أطفالنا ومقارنتها بمخرجات العمل في بيئة وثقافة مختلفتين. كما اقترح أن يكون المعلم الفلسطيني في مدرسة واحدة بدلاً من التنقل لمدارس عدة، لأنه من الأجدى الانخراط في العمل مع الأطفال ضمن خطة واحدة حتى نستطيع عمل علاقة تفاعلية مع الأطفال والمربيات في بريطانيا، تماماً كما فعلنا معهم في فلسطين» (مها وهدان).

» «علينا إعداد خطة واضحة بين المعلم الفلسطيني والبريطاني، وأن يبدأ تنفيذ الخطة منذ وصول المعلم الفلسطيني إلى بريطانيا، وبالنسبة لي الأفضل أن نبقى في مدرسة واحدة وفترة زمنية أكثر من ذلك، حتى يكون لنا أثر في المدرسة وعلى فهم المعلمين البريطانيين عنا» (إيمان نصار زخارنة).

» «لتحسين البرنامج مستقبلاً، أولا علينا أن نهتم بالعمل على التجارب وتكرارها مع أطفالنا بشكل دائم، لكي نسهل عليهم فهم الإشارات والرموز وتعبير الوجه وعملية التواصل بين الطرفين» (بثينة ملحم).

» «إعطاء فرصه للزملاء الذين شاركوا معنا في الورش ولديهم المعرفة والخبرة في موضوع العباءة لأن يكونوا هم المشاركون في الترجمة لتسهيل العمل، وإعطائهم فرصة لاكتساب المعرفة من الزملاء المعلمين من بريطانيا ومشاهده التطبيقات عن قرب» (أريج بيادسة).

مخرجات المشروع

أنتج المشروع العديد من المصادر التعليمية التي يمكن الاستفادة منها في دعم برامج المركز المختلفة ومنها:

1. خطط دروس لمراحل صفية مختلفة في مواضيع منهاجية متنوعة.
2. أفلام لحصص مصورة في فلسطين وبريطانيا.
3. مقابلات وتوثيقات لورش عمل وأيام دراسية مع لوك أبووت ودوروثي هيثكوت.
4. مصادر بحثية: تأملات المعلمين، مقابلات، رسومات أطفال، حصص مصورة.

جدول 1 : ملخص لمشاريع عباءة الخبير ضمن برنامج التبادل – مركز القطان 2011

اسم المجموعة	الأهداف	القصة والسياق	الزبون	الخبراء (الفريق المسؤول)	المهمات
مها وهدان وزميلاتها في مدرسة المستقبل مع (Gemma Handley) من مدرسة (Kingston)	» فهم لحاجات الحيوانات . » العناية بالحيوانات . » الاهتمام بالآخر . » العد، والتصنيف، والتعبير . » النظافة . (رياض أطفال : 4 سنوات)	سكان الحي يشكون من الكلاب والقطط الضالة وأصواتها والفوضى التي يحدثونها في الحي . البداية : قصة عازفو بريمن *(Bremine Players)*	البلدية/ المجلس المحلي	أطفال في موقع خبراء في رعاية الحيوانات الضالة ولهم إرث تاريخي في بناء الملاجئ للحيوانات .	بناء ملجأ وتزويده بالعناصر الأساسية لرعاية الحيوانات الضالة، تغذيتهم، إحصاء عددهم، . . . الخ .
فيفيان طنوس مدرسة الراهبات مع (Richard Karen Woodrow) مدير مدرسة (School	» التعرف على أدوات التراث الفلسطيني . » اكتساب قدرات لحل المشكلات والعمل في ظروف فيها تحدٍّ . » ممارسة مهارات فنية ومهارات اجتماعية . (رياض أطفال : 4 و5 سنوات)	معرض فلسطيني من إعداد وتنظيم أحد الفنانين الفلسطينيين . يتعرض هذا الفنان للاعتقال، ما يعطل عملية إعداده متحفاً تراثياً فلسطينياً متنقلاً وتعطيل رحلته الأولى التي سيقوم بها مع هذا المتحف إلى بريطانيا .	ابنة ذلك الفنان الفلسطيني الذي تعرض للاعتقال، تطلب مساعدة الطلبة في تجهيز المعرض ونقله ليتحقق حلم والدها .	الطلبة فريق مختص بإعداد المعارض ونقلها من مكان لآخر .	» بناء مكاتب العمل . » تصميم المعرض . » تصميم كراسة لمقتنيات المعرض . » إخراج بعض الآثار من داخل كهف .
مدرسة العناية الأهلية/ أروى فراح وزميلتها أسماء بركات من دار الطفل مع (Ann Flood) معلمة رياض من مدرسة (St Aidan's School)	» التعرف على حياة النملة . » النظام . » التعاون . » وظائف النمل وعلاقاته داخل بيت النمل . » علاقة النمل بالإنسان . (رياض أطفال : 3 – 5 سنوات)	حادث دهس لطفل يعلن عنه في المدينة، ما يثير غضب السكان والأطفال فيها، ويستدعي الأمر التفكير في مكان آمن للعب الأطفال . وعند البناء والتنسيق يلاحظ الأطفال بيوتاً غريبة في الحديقة (بيوت النمل) .	» أحد الأطفال نيابة عن بقيه أطفال البلدة . » أم تطلب من الأطفال (فريق الخبراء) أن يلعب ابنها المعاق حركياً معهم داخل الحديقة .	الأطفال خبراء في تنسيق الحدائق الآمنة للبيئة	» تنسيق الحديقة . » بناء ألعاب آمنة ومناسبة وممتعة للأطفال . » بناء ألعاب تناسب ذوي «الاحتياجات الخاصة» .
إيمان نصار زخارنة من مدرسة بيرنبالا الأساسية للبنات وزميلتها أميرة ياسين قراعين من مدرسة الأميرة بسمة مع (Emma Hamilton Smith) معلمة في مدرسة (Surlingham School)	» حماية البيئة والحياة البرية الفلسطينية من الانقراض . » بناء محمية لبقاء القرية خضراء . » تشجيع السياحة . » خلق فرص عمل في مجال السياحة لسكان القرية . (الصف الثالث الأساسي)	أثناء بناء محمية للحيوانات، يكتشف وجود مصنع في قرية يسبب التلوث، ويهدد الحياة البرية في المحمية، لكن المصنع هو مصدر رزق لأهالي القرية لأنه يوظف أكثر من نصف سكانها .	أهل القرية يرسلون رسالة إلى الأطفال يعرضون فيها المشكلة .	فريق مسؤول (مؤسسة فلسطين الخضراء) تعمل من أجل المزارعين في مهمات حماية البيئة، بناء محمية للسياحة وتشغيل أيدٍّ عاملة في القرية في مجال السياحة .	» بناء محمية للحي . » فحص أسباب التلوث . » مراقبة الحياة البرية وفحصها وحمايتها . » حل مشكلة التلوث بالتعاون مع صاحب المصنع .

اسم المجموعة	الأهداف	القصة والسياق	الزبون	الخبراء (الفريق المسؤول)	المهمات
معتصم الأطرش من مدرسة جلجليا الأساسية المختلطة مع (Tim Tayler) معلم في مدرسة (Surlingham School)	» معرفة في التاريخ الفلسطيني، المدن، القصص، الجغرافيا، الناس، الحرف، العادات، اللباس، الأدوات، الأغاني، الرقص الفلسطيني. » اتخاذ الطلبة قرارات حول ما يهم البريطانيين أن يعرفوه عن فلسطين. » تكنولوجيا بناء الفيلم. (الصف الرابع الأساسي)	أطفال فلسطينيون ينتجون فيلماً يعرضونه على زملائهم الأطفال في بريطانيا لكي يتعرفوا على فلسطين.	الأطفال والمعلمين في بريطانيا، أو ربما تلفزيون بريطاني.	الأطفال كصانعي فيلم	إنتاج فيلم للأطفال في بريطانيا يحوي معلومات تهم الأطفال البريطانيين عن فلسطين (ثقافة، جغرافيا، تاريخ، حضارة، . . . الخ) يعرض على الأطفال في بريطانيا.
بثينة ملحم، وأريج بيادسة، وسمر عيسى من دار الطفل العربي – عرعرة– المثلث الشمالي مع (Julia Walshaw) معلمة من مدرسة (Bealings School)	» التعرف على النحل، وعلى مملكة أو خلية النحل من حيث فوائدها، والنظام والوظائف، بالإضافة إلى هندسة الخلية من الداخل، ونشاط النحل بأنواعه فيها، واللغة المشتركة بين أفراد الخلية من عاملات وذكور وملكة. كيف يتم التعاون فيما بينهم لجني الرحيق من حقول الأزهار. » إدخال العلوم والرياضيات والهندسة البنائية لخليه النحل. (رياض أطفال)	خلية نحل تتعرض لحريق، ويهرب النحل إلى مناطق مختلفة، وتبقى الملكة تبحث عن مكان مناسب لها لكي تضع بيضها بأسرع وقت ممكن.	ملكة النحل	الأطفال خبراء في بناء خلايا النحل	» بناء المزرعة التي تحوي خلايا نحل. » مساعدة الملكة على بناء بيت آمن لها لتضع بيضها. » مساعدة الملكة على استرجاع أفراد أسرتها الهاربين من النار إلى بيتها الجديد.

مدير مسار العلوم والتكنولوجيا، منسق برنامج التبادل – مركز القطّان